فقه القرآن

فى إعداد القوة للجهاد

بحث من إعداد

الدكتور / على محمد حسنين حماد

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك

بكلية التربية- جامعة الملك سعود

باب

بررسی زبان عامیانه

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد فى الجهاد وحكمه:

مدار هذا البحث هو بيان فقه إعداد القوة للجهاد، وبمعنى آخر هو بيان كيفية إعداد القوة للجهاد ، فليس الجهاد مراداً بذاته هنا، وإن كان حكم الجهادوفضله والإخلاص فيه مما يدخل فى تمام موضوعنا وبيان مقصده ، فالجهاد فرض من فروض الإسلام، ولكن الفقهاء اختلفوا فى صفته فبعضهم قال : إنه من فروض الأعيان ، لقول الله تعالى : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) ثم قال : ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢). وقوله سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (٣). وروى أبو هريرة (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : «من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق» (٤).

وقال بعضهم: إنه من فروض الكفايات. لقول الله تعالى : ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾(٥) وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين مع جهاد غيرهم، ولأن رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه(٦) وأما الآيات التى احتج بها أصحاب القول الأول ، ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٧)، ومثال قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﴾ (٨) قال فيها ابن عباس (رضى الله عنهما) نسختها الآية التى

---

(١) الآية ٤١/ التوبة.
(٢) الآية ٣٩/ التوبة.
(٣) الآية ٢١٦/ البقرة.
(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائى - التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول- الشيخ منصور على ناصف - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ١٤٠١/ ١٩٨١م - جـ٤- ص ٣٢٩.
(٥) الآية ٩٥/ النساء.
(٦) المغنى - لابن قدامة- من مطبوعات رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - مكتبة الرياض الحديثة- بدون تاريخ - جـ٨ - ص ٣٤٦.
(٧) الآية ٣٩/ التوبة.
(٨) الآية ١٢٠/ التوبة

بعدها، ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١) (٢).

وعلى ذلك فالجهاد فرض على الكفاية ، ومعنى الكفاية فى الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون فى قتالهم إما أن يكونوا جنداً لهم دواوين من أجل ذلك (أى تفرض الدولة لهم الرزق لقاء الجهاد)، أو يكونوا قد أعدوا أنفسهم له تبرعاً ، بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم ، ويكونون في الثغور من يدفع العدو عنها، ويبعث فى كل سنة جيش يغيرون على العدو فى بلادهم(٣).

وإذا كان الجهاد - كما سبق - فرض كفاية إلا أنه يتعين فى ثلاثة مواضع(٤):

أحدها: إذا التقي الزحفان ، وتقابل الصفان، حرم على من حضر الإنصراف، وتعين المقام لقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥).

ثانيها : إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

ثالثها : إذ استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقوله الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٦) ولقول النبى ﷺ يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا»(٧).

(١) الآية ١٢٢/ التوبة.

(٢) رواه أبو داود بسند صالح.

- التاج الجامع للأصول حـ٤ - ٣٤٠ ، ٣٤١.

- المغنى - لابن قدامة حـ ٨ - ص ٣٤٦.

(٣) المغنى - لابن قدامة حـ ٨ - ص ٣٤٦.

(٤) المرجع السابق - حـ ٨ - ص ٣٤٦ ، ٣٤٧.

(٥) الآية ٤٥/ الأنفال . ونظير ذلك الآيتان ١٥، ١٦ / الأنفال.

(٦) الآيتان ٣٨، ٣٩/التوبة.

(٧) رواه الخمسة.

- التاج الجامع للأصول حـ ٤ - ٣٤١.

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى - للإمام ابن حجر- مكتبة الرياض الحديثة بالرياض - السعودية - بدون تاريخ - حـ ٦ - ص ٣.

فضل الجهاد:

وفضل الجهاد كبير ويوضح ذلك آيات الكتاب وأحاديث الرسول ﷺ فمن الآيات قوله تعالى ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا هلْ أدلُّكُمْ علَىٰ تجارةٍ تُنجيكُم مِّنْ عذابٍ أليمٍ تُؤمنُونَ باللَّه ورسُوله وتُجاهدُونَ في سبيل اللَّه بأموالكُمْ وأنفسكُمْ ذلكُمْ خيرٌ لَّكُمْ إن كُنتُمْ تعلمُونَ يغفرْ لكُمْ ذُنُوبكُمْ ويُدخلْكُمْ جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ومساكن طيِّبةً في جنَّاتِ عدْنٍ ذلك الفوزُ العظيمُ﴾ [1] ونظير ذلك كثير.

ومن الحديث ما ورد عن النبى ﷺ قال : «تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاداً في سبيلى وإيماناً بى وتصديقاً رسلى فهو علىَّ ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلي مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة.

والذى نفس محمد يده ما من كلمٍ يُكْلَمُ فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم ، لونه لون دم وريحه مسك والذى نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى ، والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل [2] ولفظ البخارى : والذى نفسى بيده لوددْت أنى أقتل فى سبيل الله فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل فأحيا ثم أقتل»[3] ونظير ذلك كثير.

الجهاد لا يكون إلا لإعلاء كلمة الله:

والجهاد فى الإسلام لا يكون إلا لإعلاء كلمة الله ، وذلك للحديث الصحيح الذى رواه البخارى ، «عن أبى موسى (رضى الله عنه) قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذِّكر، والرجل يقاتل ليُرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو سبيل الله.[4]

---

(١) الآيات ١٠ : ١٣/ الصف.

(٢) رواه مسلم . والترمذى والنسائى بعضه. - التاج الجامع للأصول حـ ٤ - ص ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) رواه الخمسة.

- التاج الجامع للأصول حـ ٤- ص ٣٣٩.

ومعنى الحديث أن المسلم قد يقاتل طلباً للغنيمة، أو ليُذكر بين الناس ، أو للسمعة . وفي بعض روايات الحديث زيادة ، كأن يقاتل الرجل « شجاعة» أى ليشتهر بالشجاعة، أو «رياءً » أى نفاقاً ، أو «حمية» أى من أجل الأهل أو العشيرة أو الصاحب ، أو «غضباً » من أجل حظ نفسه [1]. ولم يثبت الحديث جواباً على كل هذه البواعث ولكنه أجاب على أن «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » والمراد هنا «بكلمة الله» دعوة الله إلي الإسلام ، ولا يخل بهذا الهدف تحصيل مصالح دنيوية أو غيرها للمسلم ما دام ذلك قد تم ضمنا لا أصلا ومقصوداً ، وقد صرح بذلك الإمام «الطبرى » فقال : «إذا كان أصل الباعث هو الأول أى (إعلاء كلمة الله) لا يضره ما عرض له بعد ذلك، وبذلك قال الجمهور» [2]

وقال ابن أبى جمرة : - ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله لم يضره ما انضاف إليه »[3].

ولا شك أن دفاع المسلم عن نفسه أو عن ماله أو عن عرضه أو عن أرضه هو إعلاء لكلمة الله ، وذلك كله يكون بداهة ضد عدو غير مسلم ، وأما ما نراه الآن من اقتتال المسلمين بعضهم مع بعض فهو مذموم أيا كانت البواعث الدافعة إليه ، ولا يمت إلى الجهاد بصلة ، وقد شرع القرآن لنا الحلول فى مثل هذه الحالة حيث يقول سبحانه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[4].

الجهاد فى سبيل الله من أفضل الأعمال مطلقاً:

والجهاد فى سبيل الله ، أى مع خلوص النية، هو من أفضل الأعمال قاطبة، فقد ذكر الإمام البخارى تحت " باب فضل الجهاد والسير" أن أبا هريرة حدَّث«ذكوان» قال : جاء

(١) فتح البارى بشرح البخارى - للإمام بن حجر- حـ ٦ - ص ٢٨.
- الفتاوى - لابن تيمية - تصوير الطبعة الأولى ١٩٣٩٨ هـ / مجلد ٢٨ - ص ٢١ وما بعدها.
(٢) فتح البارى حـ ٦- ص ٢٨.
(٣) المرجع السابق - حـ ٦ - ص ٢٩.
(٤) الآية ٩/ الحجرات.

رجل إلي رسول الله ﷺ فقال : دُلني على عمل يعدل الجهاد. قال : لا أجدُه. قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تَفتُر، وتصوم ولا تُفطر؟ فقال : ومن يستطيع ذلك؟ قال أبو هريرة إن فرس المجاهد ليَستَنُّ من طِوَلِه ، فيكتُبُ له حسنات» ومعنى « إن فرس المجاهد ليستَن» بفتح ياء وتسكين السين، أى يمرح بنشاط، أو أنه يلج فى عدوه مقبلاً أو مدبراً . ومعنى « فى طوله» بكسر الطاء وفتح الواو ، هو الحبل الذى يشد به الدابة ويمسك طرفه ويرسل فى المرعى [1].

وقد علق « عياض » على هذا الحديث بقوله : اشتمل حديث الباب على تعظيم أمر الجهاد، لأن الصيام وغيره مما ذكر من فضائل الأعمال قد عدلها كلها الجهاد حتى صارت جميع حالات المجاهد وتصرفاته المباحة معادلة لأجر المواظب على الصلاة وغيرها. ولهذا قال ﷺ «لا تستطيع ذلك» وفيه أن الفضائل لا تدرك بالقياس وإنما هى إحسان من الله تعالى لمن يشاء ، واستدل به على أن الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً لما تقدم تقريره[2].

وقال ابن دقيق العيد : القياس يقتضى أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التى هى وسائل لأن الجهاد وسيلة إلي إعلاء الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك[3].

سورة الأنفال والجهاد:

وإذا كان هذا ما تقدم من حكم الجهاد وفضله وخلوص النيه فيه ، واعتباره أفضل الأعمال قاطبة، فإن الله سبحانه قد أوضح لنا فى شرعه طرق ووسائل الجهاد وكيفية الإعداد له، وفى القرآن وهو المصدر الأول للأحكام فى الإسلام نجد سورة «الأنفال» من السور المدنية التى عُنيت بجانب التشريع وبخاصة ما يتعلق بالغزوات والجهاد فى سبيل الله، وتضمنت كثيراً من التشريعات الحربية، والإرشادات الإلهية التى يجب على المؤمنين إتباعها فى قتالهم لأعدائهم ، وتناولت جانب السلم والحرب ، وأحكام الأسر والغنائم، إلى غير

---

(١) فتح البارى حـ ٦ - ص ٤، ٥.

(٢) المرجع السابق - حـ ٦ - ص ٥.

(٣) المرجع السابق - حـ ٦ - ص ٥.

ذلك من الأمور [1] وما يهمنا منها فى مجال هذا البحث هى آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[2]. هذه الآية رسمت للمسلمين طرق إعداد القوة للجهاد بل أوجبت عليهم أوامر محددة فى هذا السبيل، ومنها يمكننا استنباط الأحكام التالية:

أولاً : وجوب إعداد القوة والرباط.

ثانياً : الإنفاق.

ثالثاً : الاستطاعة.

رابعاً : الرهبة.

والأحكام الثلاثة الأولي تحدد أركان وعناصر إعداد القوة للجهاد ، والحكم الرابع يحدد أثر هذا الإعداد فى نفوس الأعداء . وعلى هذا يكون التفصيل.

الركن الأول : وجوب إعداد القوة والرباط:

الآية الكريمة تفتتح الخطاب للمؤمنين بقوله تعالى ﴿وأعدوا لهم﴾، والكلمة فى اللغة هى من مادة (ع د د) و(أعدَّه) لأمر كذا هيأه له. و(الاستعداد) للأمر التهيؤ له . و(العُدة) بالضم الاستعداد يقال : كونوا على عُدة. و(العدة) أيضاً ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح[3].

وفى هذه الآية أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء ،بعد أن أكد تقدمة التقوى، فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل فى وجوههم وبحفنة من تراب ،

---

(١) راجع تقديم محمد على الصابونى لهذه السورة فى صفوة التفاسير- دار القرآن الكريم - بيروت - لبنان - ط ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م - حـ ١ - ص ٤٩١.

(٢) الآية ٦٠/ الأنفال.

(٣) مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازى - دار القلم بيروت- لبنان - ط ١٩٧٩م - ص ٤١٦، ٤١٧.

- القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشيرازى - دار الفكر بيروت - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م - حـ ١ - ص ٣١٣.

كما فعل رسول الله ﷺ . ولكنه أراده أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ . وكلما تُعده لصديقك من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عدتك[1].

ويقول الطبري – رحمه الله– «وأعدوا» لهؤلاء الذين كفروا بربهم ، الذين بينكم وبينهم عهد ، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله « ما استطعتم من قوة» [2] فقد قصر الآية على هؤلاء الكفار الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ ،أو الذين يخاف منهم النقض . غير أن "القاسمي" يرى أن الأنسب بسياق النظم الكريم هو أن الإعداد لقتال « الكفار مطلقاً» [3].

– لماذا الأمر بالإعداد.

وقد قيل في أمر الإعداد لقتال الكفار أنه لما اتفق أصحاب النبي ﷺ في قصة "بدر" أن قصدوا الكفار بلا آلة ولا عدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله وأن يعدوا للكفار ما يمكنهم من آلة وعدة وقوة [4]. قال الشهاب: وإنما ذكر (القوة هنا) لأنه لم يكن لهم في "بدر" استعداد تام ، فنُبهوا على أن النصر من غير استعداد لا يتأتى من كل زمان [5]. وهذا الذي ذكره الشهاب – رحمه الله – عام في الإسلام بمعنى ضرورة الأخذ بالأسباب في كل أمر من الأمور الدنيوية أو الأخروية ثم يكون التوكل على الله بعد ذلك أما التوكل بدون أخذ بالأسباب فهو من التواكل المذموم.

والإعداد الذي أمر الله به المؤمنين هو بوسيلتين هما كما ذكر الله سبحانه ﴿وأعدولهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ فما هو المقصود بالقوة؟ وما هو المقصود برباط الخيل؟

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – مطبعة دار الكتب المصرية – ط الثانية– ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩م – جـ ٨ – ص ٣٥.

(٢) تفسير الطبري أو جامع البيان عن تأويل أيات القرآن – لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – تحقيق : محمود محمد شاكر – دار المعارف بمصر – بدون تاريخ – جـ ١٤ – ص ٣١.

(٣) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل – محمد جمال الدين القاسمي – الطبعة الأولي ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م – تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) مصر – جـ ٨– ص ٣٠٢٤.

(٤) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب– للإمام الفخر الرازي – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – بدون تاريخ – المجلد الثامن – جـ ١٥ – ص ١٤٨.

(٥) تفسير القاسمي جـ ٨ – ص ٣٠٢٤.

١ - المقصود بالقوة:

أ- من حيث الغة:

قال أصحاب معاجم اللغة إن مادة كلمة "قوة" تأتى من (ق و ا) و(القُوَة) ضد الضعف. و(قوى) الضعيف بالكسر (قُوةً) فهو (قوِىٌ) و(تَقَوَّى) مثله.[١]

ب- من حيث المعنى :

قال أصحاب التفاسير أن المقصود بالقوة عدة أراء:

القوة هى الرمى : وذلك استناداً إلي حديث الرسول ﷺ الذى وردت أكثر رواياته عن عقبة بن عامر (رضى الله عنه) حيث قال : قرأ رسول الله ﷺ على المنبر :«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » فقال : ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ، ثلاث مرات»[٢].

وقال "عكرمة " في قوله «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » قال : الحصون . وقال السدى فيها : من سلاح.[٣]

ويقول الرازى والمراد بالقوة ههنا: ما يكون سبباً لحصول القوة . وذكروا فيه وجوهاً.

أولها : المراد من القوة أنواع الأسلحة وثانيها : الرمى وثالثها : الحصون . والرابع قول أصحاب المعاني الأولى أن يقال : هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو، وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة . وقوله عليه الصلاة والسلام«القوة الرمى

---

(١) مختار الصحاح - ص ٥٥٨.

- القاموس المحيط حـ ٤ - ص٣٨١.

(٢) رواه الترمذي . وقد علق " الطبرى " على هذا الحديث فقال : «أنه سند فيه وهاء" غير أن المحقق « محمد محمد شاكر » يقول : «بيد أن هذا الخبر روى من طرق صحيحة جداً » فقد رواه مسلم وأبو داود ، وابن ماجة، والحاكم فى المستدرك وقال : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . ولم يخرجه البخارى لأن صالح ابن كيسان أوقفه» ووافقه الذهبى .

- راجع في تفاصيل ذلك : تفسير الطبرى حـ ١٤ - ص ٣٢، ٣٣ ، ٣٧ وهوامش المحقق.

- وأيضاً راجع تفسير القرطبى حـ ٨ - ص ٣٥.

(٣) تفسير الطبرى حـ ١٤ - ص٣٤.

» لا ينفى كون غير الرمى معتبراً ، كما أن قوله عليه الصلاة والسلام « الحج عرفة والندم توبة» لا ينفى اعتبار غيره ، بل يدل على أن هذا المذكور جزء شريف من المقصود فكذ ههنا ،وهذه الآية تدل على الاستعداد للجهاد بالنبل والسلاح وتعليم الفروسية والرمى فريضة ، إلا أنه من فروض الكفايات.[1] ولكننا نقول إن كلام «الرازى » ليس على إطلاقه ، فقد ذكر « القرطبى » أن تعلم الفروسية واستعمال الأسلحة فرض كفاية وزاد: «وقد يتعين» [2] وذلك كما قدمنا آنفاً فى الحكم التكليفى للجهاد.

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمى وغير ذلك ، ورباط الخيل ، ولا وجه لأن يقال : عنى بـ «القوة » معنى دون معنى من معانى «القوة » وقد عم الله الأمر بها[3].

صاحب المنار وتعميم معنى القوة:

وقد رتب صاحب «تفسير المنار» تعقيباً على سورة "الأنفال" القواعد المستمدة منها بأن جعل القاعدة الأولى: وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها فيدخل فى ذلك المقاتلة، والواجب أن يستعد كل مكلف للقتال ، لأنه قد يكون فرضا عينياً فى بعض الأحوال ، يستدعى ما يسمى « بالنفير العام» ولا يمكن هذا فى أمم الحضارة إلا بمقتضى نظام عام . ويدخل فيه السلاح وهو يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، وقد كثرت أجناسه وأنواعه وأصنافه فى هذا الزمان ، فمنه البرى والبحرى والهوائى، ولكل منها مراكب وسفائن لمباشرة القتال، ولنقل العسكر والأدوات والزاد والسلاح ، ويدخل فيه الزاد ونظام سوق الجيش وغير ذلك من العلوم والفنون الكثيرة»[4].

---

(١) مفاتيح الغيب - للرازى المجلد الثامن - حـ ١٥ - ص ١٤٨.

(٢) القرطبى حـ ٨ - ص ٣٦.

(٣) تفسير الطبرى حـ ١٤ - ص ٣٧.

(٤) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - بدون تاريخ - حـ ١٠ - ص ١٣٩.

ب- وأما المقصود برباط الخيل فقد ذكر فيها:

أ- قال أصحاب اللغة فى "الرباط" هى من مادة (ر ب ط).

- و(ربَطه) شده وبابه ضرب ونصر. والموضع (مَربِط) بكسر الباء وفتحها.

-و(ارتبط) بمعنى ربط.

- (الرِّباط) بالكسر ما تشد به الدابة والقربة وغيرهما . والجمع (رُبُط) بسكون الباء .

- و(الرباط) أيضاً واحد (الرباطات) المبنية (الرِّباط) أيضاً (المرَابَطة) وهى ملازمةثغر العدو.

- و(ربَاط) الخيل مرابطتها . ويقال (الرِّباط) الخيل الخمس فما فوقها[1].

وزاد صاحب القاموس (المرابطة) أن يربط كل من الفريقين خيولهم فى ثغره وكلُّ مُعَدٌّ لصاحبه فسمى المقام فى الثغر رباطا . ومنه قوله تعالى ﴿وصابروا ورابطوا﴾ . ومعناه (أيضاً) انتظار الصلاة بعد الصلاة لقوله ﷺ فذلكم الرباط[2].

ب - وقال أصحاب التفاسير فيها:

«ومن رباط الخيل» (الرباط) فى الأصل مصدر ربط، أى شد ، ويطلق بمعنى المربوط مطلقاً ، وكثر استعماله في الخيل التى تربط في سبيل الله، فالإضافة إما باعتبار عموم المفهوم الأصلى ، أو بملاحضة كون الرباط مشتركاً بين معان أخر، كانتظار الصلاة ، وملازمة ثغر العدو ، والمواظبة على الأمر ، فإضافته لأحد معانيه للبيان ، كـ(عين الشمس). ومنه يعلم أنه يجوز إضافة الشىء لنفسه إذا كان مشتركا . وإذا كان من إضافة المطلق للمقيد، فهو على معنى (من) التبعيضية [3]. وقد يكون الرباط من المرابطة أو جمع ربيط، كفصال وفصيل ، ولا شك أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد. [4] وفيه فضل عظيم ومنزلة شريفة، والمستحب منها الإناث ، قاله عكرمة وجماعة. وهو صحيح ؛ فإن

(١) مختار الصحاح ص ٢٢٩.

(٢) القاموس المحيط حـ ٢ - ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٣) محاسن التأويل - القاسمى حـ ٨ - ص ٣٠٢٤.

(٤) مفاتيح الغيب - للرازى مجلد ٨ - حـ ١٥ - ص ١٤٨.

الأنثى بطنها كنز وظهرها عز . وفرس جبريل كان أنثى. وروى الأئمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «الخيل ثلاثة لرجل أجر ولرجل ستر ولرجل وزر» الحديث [1] ولم يخص ذكرا من أنثى [2]. وقائل أن يقول : بل حمل هذا اللفظ على الفحول أولى ، لأن المقصود من رباط الخيل المحاربة عليها ، ولا شك أن الفحول أقوى على الكر والفر والعدو، فكانت المحاربة عليها أسهل ، فوجب تخصيص هذا اللفظ بها ، ولما وقع التعارض بين هذين الوجهين حمل اللفظ على مفهومه الأصلي ، وهو كونه خيلاً مربوطاً ، سواء من الفحول أو من الإناث [3] وعلي كل حال فإن أجور الخيل أعظمها أجراً وأكثرها نفعاً [4].

وقد يسأل سائل لماذا عطفت« رباط الخيل » على «القوة » مع كونها من جملتها؟ يقول بعضهم [5] للإيذان بفضلها على بقية أفرادها ، كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة.

صاحب المنار وتفسيره لرباط الخيل:

وقد أخذ صاحب المنار من هذه الآية القاعدة الثانية وهي وجوب رباط الخيل فإن من أهم القوى الحربية مرابطة الفرسان في ثغور البلاد ، وخصه بالذكر للحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه حتى في هذا العصر الذي كثرت فيه مراكب النقل البخارية والكهربائية بأنواعها ، والنص في الآية عام وصريح في هاتين القاعدتين (أي إعداد المستطاع من القوة ومن رباط الخيل) . والمراد - حسبما يرى -أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة[6].

عدم الاستغناء عن الخيل:

أقول والعجيب أنه حتى عصرنا الحاضر الذي وصلت فيه أدوات الحرب إلى مدى لم

---

(١) رواه الخمسة إلا أبا داود.

- انظر الحديث بطوله في التاج الجامع للأصول حـ ٤ - ص ٣٤٩.

(٢) تفسير القرطبي حـ ٨ - ص ٣٦.

(٣) مفاتيح الغيب - للرازي مجلد ٨ - حـ ١٥ - ص ١٤٨.

(٤) تفسير القرطبي حـ ٨ - ص ٣٦.

(٥)محاسن التأويل - القاسمي حـ ٨ - ص ٣٠٢٥.

(٦) تفسير المنار حـ ١٠ - ص ٦١، ١٣٩.

يكن يدور بخلد أحد فى سرعتها وقوة تدميرها ، وتوجيهها عن بعد بالأشعة وغيرها من الأجهزة ، أقول إنه بالرغم من ذلك فإن كافة جيوش العالم ما زالت تستعمل الخيول فى مجالات معينة سواء فى العمل أو الاستعراض والزينة،وكذلك كافة أجهزة قوى الأمن والشرطة في أنحاء المعمورة تقتنى الخيول ، وتهتم بها أيما اهتمام، وتعتبرها مظهراً من مظاهر القوة والفخامة والعز . وهذا دليل آخر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم والحديث ، فعن عروة البارقى(رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم»[1].

الركن الثانى : الإنفاق:

آثرت أن أجعل الإنفاق هو الركن الثانى من فقه إعداد القوة للجهاد، وذلك لأن تمام الإعداد والعدة لا يكون إلا به ، ولذلك رغَّب الله سبحانه فيه ، فختم به الآية موضوعنا «وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون».

ونظير ذلك فى القرآن كثير مثل قوله تعالى فى الحث على النفقة فى سبيل الله ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [2] وهذه الآية - كما ذكر الرازى - هى بيان للتكاليف المعتبرة فى إنفاق المال . وقيل فى معنى (ينفقون أموالهم فى سبيل الله) يعنى فى دينه ، وقيل : أراد النفقة فى الجهاد خاصة، وقيل : فى جميع أبواب البر.[3] وفى السنة يروي أبو هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : «من أنفق زوجين فى سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة بابٍ أى فلان هَلمَّ»[4].

وجاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه فى سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» [5] ونظير ذلك : «من أنفق نفقة فى سبيل الله

(١) رواه الخمسة.

- التاج الجامع للأصول حـ ٤ - ص ٣٤٩.

(٢) الآية ٢٦١/ البقرة.

(٣) مفاتيح الغيب - الرازى المجلد الرابع - حـ ٧ - ص ٣٩.

(٤) رواه الشيخان والنسائى. (٥) رواه مسلم والنسائى .

كتبت له بسبعمائة ضعف »[1] وورد عن زيد بن خالد (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال : «من جهز غازياً فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً فى سبيل الله بخير فقد غزا»[2].

الإنفاق فى الآية يختص بالجهاد:

ولا شك أن الآية عامة ، فالنفقة فى سبيل الله « هو عام فى الجهاد وفى سائر وجوه الخيرات»[3] ولكن سياق الآية هنا يدل على الجهاد بصفة خاصة لأن الترغيب فى الإنفاق فى عجز الآية جاء مكملاً للمعنى الموجود في صدر الآية من ضرورة إعداد القوة ورباط الخيل، ولذلك يقول "ابن كثير" فيها « وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله » أى مهما أنفقتم فى الجهاد فإنه يوف إليكم على التمام والكمال »[4] ، وعند "الرازى " ورد فى معنى « فى سبيل الله» فى آية البقرة كما أوردنا « قيل : أراد النفقة فى الجهاد خاصة »[5].

ويقول " القاسمى"فى تفسير « وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله» أى الذى أوضحه الجهاد»[6]. ويقصرها « ابن جرير» على النفقة فى الحرب فيقول فى معناها« وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كُراع أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله المشركين يخلفه عليكم فى الدنيا، ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة « وأنتم لا تظلمون» يقول : يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليكم»[7].

ولا شك أن إعداد المستطاع من القوة على الجهاد والمرابطة فى سبيل الله لا يمكن القيام

---

(١) رواه النسائى والترمذى بسند حسن.

(٢) رواه الشيخان والترمذى .

- وهذه الأحاديث وردت فى التاج الجامع للأصول حـ ٤ - ص ٣٣٧ ، ٣٣٨.

(٣) مفاتيح الغيب - للرازى المجلد الثامن - حـ ١٥ - ص ١٤٩.

(٤) مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد على الصابونى - دار القرآن الكريم - بيروت - لبنان - ط السابعة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م - المجلد الثانى - ص ١١٥.

(٥) ما سبق ص ١٦.

(٦) محاسن التأويل حـ ٨ - ص ٣٠٢٦.

(٧) تفسير الطبرى حـ ١٤ - ص ٣٩.

بهـا إلا بإنفاق المال الكثير فلهـذا رغَّب سبحانه عباده المؤمنين بالإنفـاق فى سبيله ووعدهم بأن كل ما ينفقونه فيها يوفى إليهم أو يجزون عليه جزاءً إما فى الدنيا والآخرة وإما فى الآخرة فقط[1] . أقول والجزاء فى الدنيا يكون بما يؤول للمسلمين من عدوهم من غنيمة فى القتال، أو فئ بدون قتال ، أو جزية على الرؤوس ، أو خراج على الأرض ، وفى الآخرة بالثواب الجزيل من الله سبحانه.

ولذا يجب على الأمة بذل ما يكفى للإعداد المذكور فى الآية فإن لم يبذلوا طوعاً وجب على الإمام الحق العادل إلزام الأغنياء ذلك بحسب استطاعتهم لوقاية الأمة والملة وإذا كان الإنفاق فى العصر الأول موكولاً إلى إيمان المؤمنين فى يسرهموعسرهم كما ترى فى أخبار غزوة تبوك فإنه لابد له من نظام فى هذا العصر يدخل فى ميزانية الدولة كما تفعل جميع الدول ذات النظام الثابت[2].

الركن الثالث: الاستطاعة:

واستطاع في اللغة يعنى أطاق [3]. ونحن نرى - مع بعضهم - أن الفرائض فى الإسلام تتساوى جميعها فى شرط واحد وهو الإستطاعة ، فلا فرق بين الصلاة والحج والزكاة فى شرط الاستطاعة[4]. وسائر العبادات والتكاليف واجب مع القدرة ، فأما مع العجز فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وفى الإسلام يدخل هذا فى باب "رفع الحرج" ، لقوله تعالي : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [4] ونظير ذلك قوله تعالى﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [6]

---

(١) تفسير المنار حـ ١٠ - ح ٦٧.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) القاموس المحيط حـ ٣ - ص ٦٠.

(٤) عباس العقاد - التفكير فريضة إسلامية - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - ط الثانية ١٩٦٩ م - ص ١٢١ وما بعدها.

(٥) الآية ٧٨/ الحج.

(٦) الآية ٦ / المائدة.

وعندما حرم الله المطاعم الخبيثة قال : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [1] فالله تعالى «لم يوجب مالا يستطاع، ولم يحرم ما يضطر إليه . إذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد»[2] ولذا فإن توجيه الحق سبحانه للمؤمنين إلي هذا الأمر فى قوله تعالي: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [3] فإنه «يتجلى فى هذا القيد«ما استطعتم» لطف الله بعباده ، ومدى علمه بمدى طاقتهم في تقواه وطاعته وقد قال رسول الله ﷺ : «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه» فالطاعة فى الأمر ليس له حدود، ومن ثم يقبل فيها ما يستطاع . أما النهى فلا تجزئه فيه فيطلب بكامله دون نقصان»[4]. ولا يختلف معنى الاستطاعة من آية إلي أخرى فالاستطاعة هنا « وأعدوا لهم ما استطعتم» هى أمر من الله تعالى «بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم (أى الكفار) حسب الطاقة والإمكان والإستطاعة، أى مهما أمكنكم (من قوة ومن رباط الخيل)[5] وبمعنى آخر أى « ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التى تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل» [6]. وقد أطلق الله تعالى على كل ما يتقوى به فى الحرب من عددها أطلق عليه القوة مبالغة[7].

الاستطاعة فى كل زمان ومكان بحسبه:

ومن المعلوم بالبداهة أن إعداد المستطاع من القوة يختلف امتثال الأمر الربانى به باختلاف درجات الإستطاعة فى كل زمان ومكان بحسبه، فإذا كان الرسول ﷺ قد فسر القوة بأنها الرمى – كما أوردنا سلفا– فإن إطلاق الرمى فى الحديث يشمل كل ما يرمى به

---

(١) الآية ١٧٣/ البقرة.

(٢) الفتاوى – لابن تيمية حـ ٢٨ – ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) الآية ١٦/ التغابن.

(٤) فى ظلال القرآن – سيد قطب– بدون ناشر – ط٥ – ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م – حـ ٢٨ – ص ١٢٠ .(والحديث رواه الشيخان عن أبى هريرة . وفي البخارى – طبعة دار الشعب بمصر – حـ ٩ – ص ١١٧).

(٥) مختصر تفسير ابن كثير – الصابونى – حـ ٢ – ص ١١٥.

(٦) تفسير الطبرى حـ ١٤ – ص ٣١.

(٧) محاسن التأويل – القاسمى حـ ٨ – ص ٣٠٢٤.

العدو من سهم أو قذيفة منجنيق أو طيارة أو بندقية أو مدفع وغير ذلك وإن لم يكن كل هذا معروفاً فى عصره ﷺ فإن اللفظ يشمله والمراد منه يقتضيه ولو كان قيذهب السهام المعروفة في ذلك العصر فكيف وهو لم يقيده، وما يدرينا لعل الله تعالى أجراه على لسان رسوله مطلقاً ليدل على العموم لأمته في كل عصر بحسب ما يرمى به فيه . وهناك أحاديث أخرى فى الحث على الرمى بالسهام، لأنه كرمى الرصاص فى هذه الأيام[1].

واجب المسلمين فى هذا العصر:

على أن لفظ الآية أدل على العموم لأنه أمر بالمستطاع موجه إلى الأمة فى كل زمان ومكان كسائر خطابات التشريع حتى ما كان منها وارداً فى سبب معين، ومن قواعد الأصول " أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" فالواجب على المسلمين فى هذا العصر بنص القرآن صنع المدافع بأنواعها والبنادق والدبابات والطياراتوإنشاء السفن الحربية بأنواعها والغواصات ، ويجب عليهم تعلم الفنون والصناعات التى يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من قوي الحرب بدليل « ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » وقد ورد أن الصحابة استعملوا المنجنيق مع رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر وغيرها . وكل الصناعات التى عليها مدار المعيشة من فروض الكفايات كصناعات آلات القتال[2].

الركن الرابع : الرهبة:

والمادة في اللغة من (ر ه ب) (رَهِب) خافه وبابه طَرِب . و(رَهبةً) أيضاً بالفتح. و(رُهباً) بالضم . و(أرهبه) و(استرهبه) أخافه . و(ترهَّبهُ، توعَّده)[3].

والآية تقول فى هذا ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونكم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾، وهى تحتوى فى هذا

---

(١) تفسير المنار حـ ١٠- ص ٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مختار الصحاح ص ٢٥٩

- القاموس المحيط حـ ١ - ص ٧٦.

الركن على ثلاثة عناصر نرتبها كالتالى:

١- أن إعداد القوة هو للإرهاب أساساً.

٢- الإرهاب يكون لعدو الله الذى هو عدو للمسلمين.

٣- والإرهاب يكون لآخرين من وراء الأعداء ، الله يعلمهم وإن خفى عليكم.

والإرهاب يعني الإيقاع في الرهبة ومثلها الرهب بالتحريك وهو الخوف المقترن بالاضطراب كما قال الراغب[١]. وليس هناك كثير إشكال فى العنصرين الأولين، فمعنى «ترهبون به عدو الله وعدوكم» أى تخيفون به عدو الله وعدوكم من المشركين . وجاء عن "ابن عباس" - رضى الله عنهما- قال : تخزون به عدو الله وعدوكم وكان يقرؤها «تُخْزُون» [٢] وفضَّل القرطبى " الأعداء بأنهم «اليهود وقريش وكفار العرب"[٣].

ولا شك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدون له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات خافوهم ، وذلك الخوف يفيد أمورا كثيرة:

أولها : أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام.

وثانيها : أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم الجزية.

وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان.

ورابعها : أنهم لا يعينون سائر الكفار.

وخامسها : أن يصير ذلك سببا لمزيد من الزينة فى دار الإسلام[٤].

---

(١) تفسير المنار حـ ١٠ - ص ٦٣، ٦٤.

(٢) تفسير الطبرى حـ ١٤ - ص ٣١.

- مختصر تفسير ابن كثير حـ ٢ - ص ١١٥.

(٣) تفسير القرطبى حـ ٨ - ص ٣٨.

(٤) مفاتيح الغيب للرازى ، المجلد ٨ ، جـ ١٥، ص ١٤٨، ١٤٩ .

الخلاف حول العنصر الثالث :

غير أن الخلاف كان بين المفسرين على العنصر الثالث وهو ما المقصود بقوله تعالى :

﴿ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ وعبروا عن خلافهم بالتالى :

١ - قال مجاهد : يعنى بن قريظة ،وبهذا قال السهيلى أيضاً .

٢ - وقال السدى : هؤلاء هم أهل فارس .

٣ - وقال ابن زيد : هم كل عدو للمسلمين ،غير الذين أمر النبى ﷺ أن يشرد بهم من خلفهم ، قالوا : وهم المنافقون ،وفى رواية له أيضا قال : هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لأنهم معكم ،يقولون لا إله إلا الله ،ويغزون معكم وهى رواية لمقاتل أيضاً .

٤- وقال آخرون : هم قوم من الجن ،وفى رواية لسفيان الثورى : هم الشياطين التى فى الدور ،وهى رواية أيضاً لسليمان بن موسى حيث قال : المراد كفار الجن .

٥ - وقيل غير ذلك[1].

مناقشة هذه الآراء :

والأمر يقتضى مع تعدد الآراء تفنيدها وترجيح الصواب منها بالأدلة :

١ - الذين قالوا إنهم بنو قريظة وأهل فارس جانبهم الصواب - كما يرى الطبرى - لأن الله جل ثناؤه أدخل بقوله ﴿ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ،ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم ،لعلمهم بأنهم مشركون ،وأنهم لهم حرب ،ولا معنى لأن يقال ، وهم يعلمونهم لهم أعداء : ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ﴾ [2].

وهذا القول ذاته انتقده - صاحب تفسير المنار -موضحا زعم « الطبرى » أن المؤمنين كانوا يعلمون عداوة بنى قريظة وفارس لهم قبل نزول الآية ،هو غير مسلم على إطلاقه فأما

(١) تفسير الطبرى ، جـ ١٤، ص ٣٦ ،٣٧ .

- مختصر تفسير ابن كثير ابن كثير - جـ ٢ -ص ١١٥ .

- مفاتيح الغيب - للرازى - المجلد ٨ - جـ ١٥ -ص ١٤٩ .

(٢) تفسير الطبرى - جـ ١٤ -ص ٣٧ ، ٣٨ .

نقض قريظة للعهد فقد اعتذروا عنه فقبل النبى ﷺ عذرهم ولم يعاملهم معاملة الأعداء ولا سيما عند نزول هذه السورة عقب غزوة بدر ،وأما الفرس فلم تكن عداوتهم تخطر على بال أحد من المسلمين فى ذلك العهد .وقد عجب - صاحب المنار - ممن ذكر الفرس فى تفسير الآية ولم يذكر الروم الذين كانوا أقرب إلى جزيرة العرب [1].

٢ - وأما الذين قالوا إنهم المنافقون مثل « الرازى » حيث يذكر أن فى تفسير الآية وجوها :

الأول : وهو الأصح أنهم هم المنافقون ، والمعنى : أن تكثير أسباب الغزو كما يوجب رهبة الكفار فكذلك يوجب رهبة المنافقين .فإن قيل : المنافقون لا يخافون القتال فكيف يوجب ما ذكرتموه الإرهاب ؟ قلنا : هذا الإرهاب من وجهين : الأول : أنهم إذ شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأدواتهم انقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين ،وذلك يحملهم على أن يتركوا الكفر فى قلوبهم وبواطنهم ويصيروا مخلصين فى الإيمان ،والثانى : أن المنافق من عادته أن يتربص ظهور الآفات ويحتال فى إلقاء الإفساد والتفريق بين المسلمين ،فإن شاهد كون المسلمين فى غاية القوة خافهم وترك هذه الأفعال المذمومة[2].

ومثل " ابن كثير " حيث يؤيد من فسر الآية بأنهم المنافقون ويعلق « وهذا أشبه الأقوال ويشهد له قوله تعالى ﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ [3].

والآراء السابقة غير صائبة - فى رأى الطبرى - لأن المنافقين لم تكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم ،وإنما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يستسرون من الكفر ،وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو ،فأما من لم يرهبه ذلك ،فغير داخل فى معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون .وقيل : ﴿لا تعلمونهم﴾ فاكتفى لـ « العلم » بمنصوب واحد فى هذا الموضع ، لأنه أريد : لا تعرفونهم [4].

---

(١) تفسير المنار ، جـ ١٠ ،ص ٦٤ ،٦٥ .

(٢) مفاتيح الغيب ، الرازى ، المجلد ٨ - جـ ١٥ - ص ١٤٩ .

(٣) تفسير ابن كثير والبغوى - مطبعة دار المنار مصر - الطبعة الأولى ١٣٤٦ هـ جـ ٤ - ص ٨٨ .

(٤) تفسير الطبرى ،جـ ١٤ ،ص ٣٨ .

وقال مثل هذا الكلام الذى سبق - صاحب المنار - فإن المنافقين لم يكونوا يعدون من الأعداء الذين يرهبون بإعداد قوى الحرب ورباط الخيل إذ لم يفضح الوحى كفر الكثيرين منهم إلا بعد ذلك فى غزوة « تبوك » وبقى باقيهم على ظاهر إسلامه [1].

٣ - وأما من قال هم قوم من الجن ، أو كفار الجن ،فإنهم أصابوا فى رأى - الإمام الطبرى - ولذلك اختاره وقال هو « أقرب وأشبه بالصواب » معللا ذلك أنكم أيها المؤمنون بارتباطكم الخيل ترهبون عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتهم عداوتكم لكم ، لكفرهم بالله ورسوله ،وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم ، لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم ، الله يعلمهم دونكم ، لأن بنى آدم لا يرونهم ، وقيل : إن صهيل الخيل يرهب الجن ، وأن الجن لا تقرب داراً فيها فرس [2].

انتقاد الكثير لابن جرير فى هذا القول :

وقد أخذ الكثيرون هذا القول على « ابن جرير » وانتقدوه نقلا وعقلا ، فمن ناحية النقل فإن الحديث الذى احتج به هو قول الرسول ﷺ : « إن الشيطان لا يخبل أحداً فى دار فيها فرس عتيق » وإنما سمى عتيقاً لأنه قد تخلص من الهجانة ،وهذا الحديث أسنده الحارث بن أبى أسامة عن ابن المليكى عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ [3]ورواه « ابن كثير » عن عبد الله بن عريب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ وعلق عليه نصاً « وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه » [4].

وأما من ناحية العقل فقد رد « الرازى» هذا الاختيار « للطبرى » بأن « هذا قول مشكل لأن تكثير آلات الجهاد لا يعقل تأثيره فى إرهاب الجن » [5].

وعدها - صاحب المنار- من سقطات « ابن جرير » وأضاف : وهو ظاهر فى اختياره له بظنه أن الحديث صحيح ، ويمثل هذا الروايات المنكرة عن المجهولين يصرفون المسلمين

(١) تفسير المنار ،جـ ١٠ ،ص ٦٥ .

(٢) تفسير الطبرى ، جـ ١٤ ،ص ٣٨ .

(٣) تفسير القرطبى ،جـ ٨ ،ص ٣٨ .

(٤) تفسير ابن كثير والبغوى ، جـ ٤ ،ص ٨٥ .

(٥) مفاتيح الغيب للرازى ،المجلد ٨ ،جـ ١٥ ،ص ١٤٩ .

عن المقاصد المهمة التي عليها مدار شوكتهم وحياتهم إلى مثل هذا المعنى الخرافي الذي حاصله أن اقتناء الخيل العتاق يرهب الجن ويحفظ الناس من خبلهم ، كأنها تعاويذ للوقاية من الجنون لا عدة لإرهاب العدو ، وهو خلاف المتبادر من الآية ومن سائر السياق الذي هو في قتال المحاربين من أعداء المؤمنين والحديث فيه لم يصح كما ذكر ابن كثير [1].

الترجيح والاختيار :

وقد أراد بعضهم أن يخرج من هذا الخلاف فيذكر « القرطبي » فيما استعرضه من آراء قول من قال : « ولا ينبغي أن يقال فيهم شيء ، لأن الله سبحانه قال ﴿ وآخرون من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ فكيف يدعي أحد علما بهم [2].

أقول : غير أن مثل هذا الرأي لا ينهى الخلاف ولا يحل الإشكال . ولذلك فإن أشبه الآراء بالصواب هو قول من قال : المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته » [3]، وهذا الذي اختاره أيضاً - صاحب تفسير المنار - فالعبارة عنده تشمل كل من ظهرت عداوته بعد ذلك لجماعة المسلمين من أعداء الله ورسوله ومن المبتدعين في دينه الكارهين لجماعة المسلمين . وإدخاله للمبتدعين من المسلمين أيضا هو متابعة - للإمام الرازي - في ذلك فقد ذكره [4].

الخاتمة والنتائج :

مما عرضناه يتضح أن فقه إعداد القوة للجهاد يعتمد على ما ذكرناه من أركان أربعة هي: إعداد القوة والرباط ، والإنفاق بالمال وغيره في سبيل هذا الإعداد ،وذلك كله حسب الاستطاعة والطاقة ، فيحدث بعد ذلك الإهارب لأعداء الله وأعداء المسلمين اللظاهر منهم والخفي ، أو الأعداء الذين يعلمونهم والذين لا يعلمونهم أو لم يعلمونهم بعد . وقد يتصور بعضهم أن الإعداد للجهاد يكون بالقوة العسكرية فقط ،وبمعنى آخر أن الإعداد ينصب على النواحي المادية من سلاح وعتاد وخلافه . ويخطئ من يظن ذلك فالإعداد أوسع من النواحي

(١) تفسير المنار ، جـ ١٠ ،ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) تفسير القرطبي ، جـ ٨ ،ص ٣٨ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) تفسير المنار ،جـ ١٠ ،ص ٦٥ .

- مفاتيح الغيب للرازي ، المجلد ٨ -جـ ١٥ - ص ١٤٩ .

العسكرية والمادية ، فإننا نجد حتى الدول التى تقدس المادة وتعلى من قدرها كالدول الرأسمالية ، وكذلك الدول التى تقدم المادة على كل شىء وتؤكد أنها أساس كل شىء كالدول الاشتراكية ، نجد أن هذه الدول تهتم بالنواحى المعنوية فى إعداد جيوشها ، وتنشئ الإدارات الخاصة بذلك وبعضهم يطلق عليها « إدارات التوجيه المعنوى » وهذا جانب هام من الإعداد لا شك فيه . وإن كنا نرى أن القوة للجهاد فى الإسلام يتجاوز ذلك أيضا إلى نواح ربما لا ينظر إليها ولا يهتم بها أحد فى هذا العصر وهى النواحى الإيمانية . لأن هذه الجوانب هى مفتقدة فى الأساس عند بعض الدول كالدول الاشتراكية لأن عقيدتهم وفلسفتهم تقوم على عدم الاعتقاد بالغيبيات وهذا الجانب يشكل عندهم أحد أركان الإشتراكية بما يطلق عليه « المادية المنطقية » أى أن المؤمن بهذا المذهب لا يعتقد إلا بما يحسه أو يلمسه أو يراه واضحا أما غير ذلك من وجود إله يحكم هذا الكون ، أو بعث أو جنة أو نار أو ملائكة أو شياطين فهذا ضرب من الخيال عندهم أو الوهم ، وأما غيرهم من الدول الرأسمالية فهى بحكم فلسفتها وعقيدتها هى الأخرى تنحى الدين جانبا فليس للدين أى أثر أو توجيه فى حياة الناس ، بل قد تعد إدخال الدين فى بعض الأمور تجاوزا وتعديا على ما يؤمنون به من فلسفات ومعتقدات أساسها حرية الإنسان الشخصية ، وبالتالى فهم لا يولون هذا الجانب أى اهتمام .

أما نحن كمسلمين نؤمن إيماناً راسخاً بالغيبيات فهى ركن الإيمان عندنا كما يظهر ذلك من آيات الكتاب ومن أحاديث الرسول ﷺ فيقول الله تعالى فى صفات المتقين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [2]وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ [3]وغيره كثير جداً ، وفى الحديث الصحيح الذى رواه عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ عندما جاءهم جبريل - عليه السلام - يعلمهم أمور دينهم وسأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان فأجابه ﷺ عن الإيمان « . . أن

(١) الآية ٣ / البقرة .

(٢) الآية ١٠٥ / التوبة .

(٣) الآية ٤٩ / الأنبياء .

تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وعن الإحسان يجيب ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (١).

المسلم والإعداد الإيماني :

ونرى أن إعداد هذا الجانب الإيماني الغيبي الذى يرتبط بالدين وبالاعتقاد عند المسلم هو أهم جوانب إعداد القوة للأعداء ، فالإيمان والعقيدة عند المسلم هى أساس كل شيء ، وركن كل أمر إن افتقدت أو ضعفت إنهار كل شيء ، وأنى يستقيم أى بناء والأساس ضعيف أو منهار . . ! وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (٢) فالإيمان أولاً وقبل كل شيء والإيمان آخرا وبعد كل شيء . ونتسأل بعد ذلك مع قول الله تعالى ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) ولا غرابة عندما نجد أن الله سبحانه وفى ثنايا سرد أحداث غزوة « بدر » فى سورة « الأنفال » التى وردت بها آية الإعداد وهى موضوع هذا البحث ودليله ، نجد أن النداءات الإلهية جاءت للمؤمنين ست مرات بوصف الإيمان ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ كحافز على الصبر والثبات فى مجاهدتهم لأعداء الله ، وكتذكير لهم بأن هذه التكاليف التى أمروا بها من مقتضيات الإيمان الذى تحلوا به ، وأن النصر الذى حازوا عليه كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال (٤).

العقيدة هى أساس حياة المسلم :

وقد يرى بعض المسلمين عن جهل أو خبث أن العقيدة لا دخل لها بحياة الناس ، وأنه

---

(١) رواه الخمسة .

- التاج الجامع للأصول - جـ ١ ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) الآيات ٤٠ : ٤٣ / العنكبوت .

(٣) الآية ١٠٩ / التوبة .

(٤) صفوة التفاسير ، الصابونى جـ ١ ، ص ٤٩١ .

لا رابط بينها وبين الأمور الحياتية والنظم والشريعة فى الإسلام نقول لهم إن قراءة آيتين من هذه السورة (الأنفال) توضح هذا الربط أفضل إيضاح حيث يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) ويقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢) . وكثير مثله في القرآن وفى كافة وجوه الحياة وفى الجهاد بالذات نجد قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣) .

ولا شك أن الجانب الإيمانى هو أساس الجانب المعنوى عند المسلمين ، وإن كان ذلك لا يمنع من إثارة الحماس لدى المجاهدين بأمور أخرى كالدفاع عن دار الإسلام وحوزته ، وعن أعراض المسلمين وأموالهم ، وكذا الترغيب فى الشهادة وما يعده الله من جزاء للشهداء ، والترهيب من التولى أو النكوص عن الجهاد وما يلحقه من إثم من جراء ذلك . وهذان الجانبان الإيمانى والمعنوى لا حدود للإعداد لهما ، فيجب أن نبذل فيهما الغاية ، ونستنفد فيهما الطاقة لأنهما يقومان أساسا على منهج التربية الإيمانية الذى يستقى من العقيدة الصحيحة ، ومن المصادر المعروفة للإسلام ، وكل هذا يعتمد على إخلاص النية ، والنصح والتذكير بأن الجهاد لا يكون فى الإسلام إلا لهدف واحد وفيه تدخل كل الأهداف والغايات الأخرى وهو أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا .

المسلم والإعداد المادى :

وأما الجانب المادى فالإعداد له يكون بحسب الوسع والطاقة وهو يقتضى - عندنا - أمرين :

أولهما : أن الإعداد المادى لا يعنى إعداد الأسلحة والعتاد الحربى فقط بل إن الأمر يتسع ليشمل الإعداد لكافة نواحى الحياة والأنشطة والمجالات المتنوعة فى المجتمع ، كالإعداد فى الزراعة وتوفير الغذاء والتموين ، والإعداد فى الصناعة لتوفير حاجات المقاتلين بصفة خاصة من سلاح ومركبات وعتاد وذخائر وخلافه ، وسد حاجات المجتمع بصفة عامة

(١) الآية: ٢٩ الأنفال.

(٢) الآية: ٤٥ الأنفال.

(٣) الآية: ٢٠٠ آل عمران.

من مسكن ومأكل وملبس وخلافه . وقل هذا في كافة نواحي الحياة الأخرى ، حتى إننا نرى أن أبسط مظاهر التقدم والإنتاج ، في أي مجال من المجالات يعد إعداداً للعدة والقوة التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها ، ولقد كان هذا هو فهم المسلمين الأوائل لهذا الأمر فعن « رجاء ابن أبي سلمة قال : لقي رجل مجاهداً بمكة ، ومع مجاهد « جُوَالَق» قال: فقال مجاهد : هذا من القوة . ومجاهد يتجهز للغزو[1] .

وثانيهما : العلم ،وهو أهم ما يجب التركيز عليه خاصة وأن الإسلام هو دين العلم والتعلم ، وبدون العلم لا يمكننا بأي حال إعداد القوة التي أمرنا الله بها ، فقد يعتقد بعض المسلمين أن أمر إعداد القوة مربوط بالاستطاعة الآنية فقط أي أنه يقتضي فقط حشد الإمكانات الموجودة بالفعل لدى المسلمين دون حرص على تنمية هذه الإمكانات ، ودون مثابرة على تعلم وإتقان العلوم العصرية النافعة التي تثري هذه الإمكانات ،وتجعلها تجاري مستجدات هذا العصر ومستحدثاته ،ولا شك أن مثل هذا الاعتقاد إذا صح لدى بعضهم فهو اعتقاد خاطئ ،لأن الاستطاعة يجب أن تتطور بحسب الزمان والمكان . فلا يمكن لعاقل أن يقول يكفينا في إعداد القوة ما كان عليه المسلمون الأوائل من سيوف ورماح ونبال وخيول ، لأننا لو فعلنا ذلك نكون قد قصرنا في فهم المراد بالإعداد ، ونكون قد فرطنا في أمر الله . لأن إعداد القوة اليوم يقتضي الأخذ بكل العلوم النافعة سواء كانت شرعية أو عقيلة ، لأن من الخطأ كما يذكر « ابن تيمية » الظن بأن العلوم الشرعية هي ما أخبر به الشارع فقط بل كل علم دل عليه الشارع وأرشد إليه يعد علماً شرعيا . . فإن الشرعيات ما أخبر الشارع بها وما دل الشارع عليها . وما دل الشارع عليه ينتظم ما يحتاج إلى عمله بالعقل [2].

فإذا علمنا أن العلوم العقلية في عصر ابن تيمية كانت تشمل أكثر العلوم التجريبية مثل

---

(١) تفسير الطبري، جـ ١٤، ص ٣٤.

-«والجوالق» (بضم الجيم، وفتح اللام أو كسرها) وعاء من الأوعية، هو الذي نسميه اليوم في مصر محرفا «الشوال» - من كلام المحقق.

(٢) مجموع ٦٩، مخطوط بمكتبة الظاهرية بدمشق.

-نقلا عن د. محمد رشاد سالم - المدخل إلى الثقافة الإسلامية. دار القلم الكويت - ط ٣ - ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م - ص ١٢١.

الطب والرياضيات والطبيعيات وغير ذلك ، فهمنا من كلامه أى « ابن تيمية » أن العلوم تعد شرعية ما دام الشرع بدلنا عليها ، ويوضح هذا المعنى بقوله « وأما إذا أريد بالشرعية ما شرع علمه فهذا يدخل فيه كل علم مستحب أو واجب ، وقد يدخل فيه المباح . . وما علم بالعقل وحده فهو من الشرعية أيضاً ،إذا كان علمه مأموراً به فى الشرع » (١) .

ولا ريب أن العلوم التجريبية الحديثة هى من العلوم التى أمر الشارع بها ودل عليها لأنها الوسيلة الوحيدة للوصول إلى التقدم والحضارة فى كافة الميادين ،وخاصة فى ميدان القوة العسكرية والسياسية ، فالحرب اليوم تعتمد أولا على العلم ،وهذا داخل فى قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . الآية ﴾ وإذا كان إعداد القوة أمراً واجبا ، وكان العلم هو من أهم وسائل إعداد القوة ،فالعلوم التجريبية العصرية واجبة لأنها داخلة فى قاعدة : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب (٢) .وأخيرا فإن حصيلة ما ذكرناه من آراء فى فقه إعداد القوة للجهاد ، وما أثبتناه من ملحوظات تتضح لنا الأحكام الفقهية التالية :

أولاً:وجوب إعداء القوة للجهاد ذكر هذا الحكم كافة المفسرين «فابن كثير» يقول: «أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لقاتلهم(الكفار)حسب الطاقة والامكان والاستطاعة» (٣) وقال « القرطبى » أمر الله سبحانه بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى » (٤) ويقول «القاسمى » « هذه الآية أصل فى كل ما يلزم إعداده للجهاد من الأدوات » (٥) وقالها من المحدثين « صاحب تفسير المنار » حيث يذكر « وجوب إعداد الأمة كل ما تستطيعه من قوة لقتال أعدائها » (٦) وبمثل ذلك قال الآخرون .

ثانياً : شمول هذا الإعداد . فهو يشمل الإعداد الإيمانى والمعنوى والمادى بكافة أنواعه وهذا واضح مما قدمناه ، فلا يقتصر الإعداد على جانب دون الآخر .

وأبسط الأشياء يدخل فى العدة ويزيد المسلمين قوة وأهم ما يدخل فى ذلك العلم

(١) المرجع نفسه.

(٢) د. محمد رشاد سالم - المدخل إلى الثقافة الإسلامية - ص ١٣١، ١٣٢.

(٣) تفسير ابن كثير والبغوى - جـ٤ - ص ٨٥.

(٤) تفسير القرطبى - جـ ٨ - ص ٣٥.

(٥) محاسن التأويل - جـ ٨ - ص ٣٠٢٦.

(٦) تفسير المنار - جـ ١٠ - ص ١٣٩.

بكافة أنواعه النافعة سواء كانت شرعية أو عقلية فكله داخل فيما أمر به الشرع أو دل عليه.

ثالثاً: الإعداد يكون حسب الاستطاعة: ومن المعلوم بالبداهة - كما يذكر صاحب المنار - أن إعداد المستطاع من القوة يختلف امتثال الأمر الرباني به باختلاف درجات الاستطاعة في كل زمان ومكان بحسبه [1].

رابعاً: الإعداد ليس بالضرورة أن يكون للحرب فقد يكون للإرهاب فقط. وهذا الحكم من المبشرات للمسلمين. وقد أوضح بعضهم أن في قول الله ﴿ ترهبون به ﴾ إشارة إلى التجافي عن أن يكون الإعداد لغير الإرهاب، كالخيلاء [2]. وهذا صحيح لأن الإعداد لابد أن تتوافر فيه النية وإخلاص العمل لله تعالى حتى يحوز القبول منه سبحانه وإلا فهو رد على أصحابه، فالله جل ثناؤه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه. وقد يؤخذ من هذا الحكم أيضاً أن الإعداد قد يكون سبباً لإرهاب الأعداء عموماً أينما وحيثما كانوا، وبأي صفة كانوا فتمتنع الحرب ولا يكون قتال، فإعداد القوة قدر المستطاع - كما يذكر صاحب المنار - بقصد الإرهاب هو دليل على تفضيل جعله سببا لمنع الحرب على جعله سببا لإيقاد نارها فهو يقول استعدوا لها ليرهبكم الأعداء عسى أن يمتنعوا عن الإقدام على قتالكم، وهذا ما يسمى في عرف دول هذه الأيام « بالسلام المسلح » بناء على أن الضعف يغري الأقوياء بالتعدي على الضعفاء. ويضيف: إن الغرض الأول من الاستعداد الحربي لأهل الحق إرهاب أعدائهم أهل الباطل لعلهم يكفون عن البغي والعدوان، فإن لم يفعلوا كان أهل الحق والفضيلة قادرين على حفظهما بالدفاع عنهما، وإضعاف شوكة الباغين المبطلين أو القضاء عليهم [3].

وفي عصرنا هذا نسمع عن مصطلح «التوازن النووي» وهو ملكية الدول الكبرى لترسانات السلاح النووي ما ترهب كل دولة به الأخرى حيث أن المعتدي يعرف أنه لن يمر عدوانه بدون عقاب وبالسلاح نفسه ومن أجل هذا امتنعت الحروب الذرية حتى الآن لهذا السبب.

---

(١) تفسير المنار - جـ ١٠ - ص ٦١.

(٢) محاسن التأويل - للقاسمي - جـ ٨ - ص ٣٠٢٦.

(٣) تفسير المنار - جـ ١٠ - ص ٦٦، ٦٨، ٦٩، ١٣٩.

خامساً : ذاتيـة الجهـاد فى سبـيل الله : وهذا الحكم يعنى تميز الجـهاد فـى الإسلام بخصـائص ذاتية لا توجـد فى أى حرب أخـرى ذلك أن الحروب عادة تكون مـن قبل أهل الباطل لأغراض دنيوية ،أو منافع ذاتية ،أو أهواء شخصية كنفوذ أو سلطان أو ما شابه ذلك ،وقد تكون بغيا خالصا ، وظلما واضـحا وقد تكون ظواهر بعض الحروب أنها حروب من أجل عقائد أو مذاهب أو فلسـفات معينة كالحرب من أجل سيـادة مذهب وضعى كالمذهب الرأسمالى أو الاشتراكى أو من أجل الانتصار لمذهب قومى معين ولكن بالتدقيق نجد أن هذه العقـائد والمذاهب والفلسفات هى نفـسها عقـائد مادية وتقوم على أساس إعـلاء شأن المادة وتكثيرها والافتخـار بها ، ولذلك تجدهم لا يركنون إلا إلى سبل الإعداد المادى المحض من عتاد وسلاح وغـيره ،أما الجهاد فى الإسلام فإنه يحتـاج إلى الإعداد المادى للقوة ووجوب الآخذ بأسباب الغلبـة والنصر بالرجال والعتاد وخلافه كمـا أوضحنا إلا أنه يؤمن بأمر آخر وسلاح روحى من نوع آخـر هو سلاح الإيمان ، وأن للجهاد فى الإسـلام غرض واحد هو إعلاء كلمـة الله ، ولذلك يجب أن يأخذ المسلمـون هذا السلاح فى اعتـبارهم مادامـوا قد استنفذوا الجهد ،استفرغـوا الوسع فى الإعداد للقوة بقدر المستطاع ، وأخذوا بالأسباب قدر الطاقة والإمكان ، ولا يثبط من عـزيمتهم أى سبب ظاهرى آخر ، كـعدم التكافئ فى العدد أو العُدد مثـلا ، لأنهم يملكون سلاحا لا يملكه أعداؤهم ولا يعرفـونه بل قد يهزؤون به إذا سمعوا عنه ويعدونه ضربا من الأوهام والخيالات ولكن قدر الله هو الغالب والنافذ ولو كانوا لا يعلمون ، ولذلك فـإننا نقول مع القائل : إن الجهاد فـريضة على المسلمين حتى لو كان عدد أعدائهم أضعاف عددهم . وأنهم منصورون بعون الله على أعدائهم ، وأن الواحد منهم كفء لعشرة من الأعداء ، وكفء لاثنين فى أضعف الحـالات. وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظـاهرة بين المؤمنين وعدوهم ، فحسب المؤمنين أن يعدوا مـا استطاعوا من القوى ،وأن يثقـوا بالله ، وأن يثبتوا فى المعركـة ، ويصبروا عليها ، والبـقية على الله ذلك أنهم يملكون قوى أخرى غـير القوة المادية الظاهرة[1] وصدق رسول الله ﷺ حينما قال « بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب » [2] .

(١) فى ظلال القرآن، سيد قطب، جـ١٠، ص ٤٠، ٤١.

(٢) والحديث رواه أبو هريرة. - موسوعة السنة، دار الدعوة، استانبول، دار سحنون تونس، ١٤١٣ هـ، المجلد ٢ صحيح البخارى جـ٤، ص ١٢.

سادساً : عز الإسلام والمسلمين يكون بالأعداد والذل بغيره . وهذا ثابت نقلا وعقلا فأما من حيث النقل عن ابن عمر « رضي الله عنهما » قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ، وتركتم الجهاد ،سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى تراجعوا إلى دينكم »[1] وعقلاً فإن الملاحظ ، لسيرة المسلمين يجد ذلك واضحا ففي صدر الإسلام عندما عمل المسلمون بمقتضى هذه الآية ، كان الإسلام عزيزاً عظيما ، أبى الضيم ، قوى القنا ، وبسط سلطانه على منبسط الأرض وأغلب المعمورة ،وأذل المستبدين والكافرين ، وأما اليوم فقد ترك المسلمون العمل بهذه الآية الكريمة ،مالوا إلى النعيم والترف ، فأهملوا فرضا من فروض الكفاية ،فأصبحت جميع الأمة آثمة بترك هذا الفرض، ولذا تعانى اليوم من غصته وطمع فينا الأعداء وكيف لا يطعمون وهم يرون من ضعفنا وهواننا وأن غالب سلاحنا وعتادنا منهم عالمين بأسراره وخباياه ، بل جل غذائنا وطعامنا ولباسنا إلخ منهم [2].

وفى النهاية إنه يجب على المعسكر الإسلامى إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة لتكون القوة المهتدية هى القوة العليا فى الأرض ،التى ترهبها جميع القوى المبطلة ،والتى تتسامع بها هذه القوى فى أرجاء الأرض ، فتهاب أولاً أن تهاجم دار الإسلام، وتستسلم كذلك لسلطان الله فلا تمنع داعية إلى الإسلام فى أرضها من الدعوة ، ولا تصد أحدا من أهلها عن الاستجابة ، ولا تدعى حق الحاكمية وتعبيد الناس ، حتى يكون الدين كله لله[3] .

وآخر دعوانا سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

---

(١) سنن أبى داود، ص ٧٤١،٧٤، موسوعة السنة، المجلد ٩ .

-قال فيه ابن القيم «رواه أبو داود بإسناد صحيح».

تهذيب السنن لابن القيم. جـ٥،ص١٠٤ مطبوع مع مختصر السنن للمنذرى، تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد حامد الفقى، مكتبة السنة المحمدية، ومكتبة ابن تيمية، مصر، بدون تاريخ.

-وصححه الألبانى، فى غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامى، بيروت، دمشق ط٣، ١٤٠٥هـ، ص ١٢١ .

(٢) قارن محاسن التأويل، للقاسمى، جـ٨،ص٣٠٢٥، ٣٠٢٦ .

(٣) فى ظلال القرآن، جـ ١٠، ص ٤٠ .

المراجع

أولاً : القرآن الكريم :

ثانياً : كتب التفسير :

١ - تفسير ابن كثير والبغوى - مطبعة دار المنار ،مصر - ط الأولى ١٣٤٦ هـ .

٢ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - محمد رشيد رضا - دار المعرفة - بيروت ،لبنان .

٣ - جامع البيان عن تأويل أى القرآن الشهير بتفسير الطبرى - تحقيق : محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر - بدون تاريخ .

٤ - الجامع لأحكام القرآن - لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - مطبعة دار الكتب المصرية - ط الثانية - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .

٥ - صفوة التفاسير - محمد على الصابونى - دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان - ط ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٦ - فى ظلال القرآن - سيد قطب -ط ٥ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ،بدون ناشر .

٧ - محاسن التأويل الشهير بتفسير القاسمى - محمد جمال الدين القاسمى - تصحيح محمد فؤاد عبد الباقى - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة - مصر - ط ١ ،١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

٨ - مختصر تفسير ابن كثير - اختصار وتحقيق محمد على الصابونى - دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان - ط ٧ ،١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .

٩ - مفاتيح الغيب الشهير بالتفسير الكبير - للإمام الفخر الرازى - دار الكتب العلمية،بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

ثالثاً : كتب الحديث :

١ - التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول - الشيخ منصور على ناصف -دار

الفكر بيروت لبنان ط ١ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨١ م .

٢ - تهذيب السنن - لابن القيم - مطبوع مع مختصر السنن للمنذرى - تحقيق أحمد محمد شاكر ، ومحمد أحمد الفقى - مكتبة السنة المحمدية ، مكتبة ابن تيمية ، مصر - بدون تاريخ .

٣ - سنن أبى داود - مطبوع ضمن موسوعة السنة - دار الدعوة - استانبول - دار سحنون - تونس - ١٤١٣ هـ .

٤ - صحيح البخارى - مطبوع ضمن موسوعة السنة عالية .

٥ - غاية المرام فى تخريج أحاديث الحلال والحرام - الألبانى - المكتب الإسلامى بيروت ، دمشق - ط ٣ - ١٤٠٥ هـ .

٦ - فتح البارى بشرح البخارى - للإمام ابن حجر - مكتبة الرياض الحديثة بالرياض - السعودية - بدون تاريخ .

رابعاً : الكتب الفقهية :

١ - الفتاوى - لابن تيمية - تصوير الطبعة الأولى - ١٣٩٨ هـ بدون ناشر .

٢ - المغنى - لابن قدامة - من مطبوعات إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد - السعودية - بدون تاريخ .

خامساً : كتب عامة :

١ - التفكير فريضة إسلامية - عباس العقاد - دار الكتاب العربى - بيروت ، لبنان - ط ٢ ، ص ١٩٦٩ م .

٢ - المدخل إلى الثقافة الإسلامية - د . محمد رشاد سالم - دار القلم - الكويت - ط ٣ ، ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م .

سادساً : معاجم اللغة :

١ - القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروز أبادى الشيرازى - دار الفكر .

بيروت - لبنان - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

٢ - مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي - دار القلم ، بيروت ، لبنان- ط ١٩٧٩ م .